

تفسير ابن كثير

كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ

(كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ، اختلف المفسرون في ذلك على قولين : أحدهما : أن

" ما " نافية ، تقديره : كانوا قليلا من الليل لا يهجعونه . قال ابن عباس : لم تكن تمضي

عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئا . وقال قتادة ، عن مطرف بن عبد الله : قل ليلة

تأتي عليهم لا يصلون فيها الله عز وجل ، إما من أولها وإما من أوسطها . وقال مجاهد :

قل ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهددون . وكذا قال قتادة . وقال أنس بن مالك ،

وأبو العالية : كانوا يصلون بين المغرب والعشاء . وقال أبو جعفر الباقر ، كانوا لا ينامون

حتى يصلوا العتمة . والقول الثاني : أن " ما " مصدرية ، تقديره : كانوا قليلا من الليل

هجوهم ونومهم . واختاره ابن جرير . وقال الحسن البصري : (كانوا قليلا من الليل ما

يهجعون) : كابدوا قيام الليل ، فلا ينامون من الليل إلا أقله ، ونشطوا فمدوا إلى السحر

حتى كان الاستغفار بسحر . وقال قتادة : قال الأحنف بن قيس : (كانوا قليلا من الليل

ما يهجعون) : كانوا لا ينامون إلا قليلا ثم يقول : لست من أهل هذه الآية . وقال الحسن

البصري : كان الأحنف بن قيس يقول : عرضت عملي على عمل أهل الجنة ، فإذا قوم قد باينونا بونا بعيدا ، إذا قوم لا نبليهم أعمالهم ، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وعرضت عملي على عمل أهل النار فإذا قوم لا خير فيهم يكذبون بكتاب الله وبرسل الله ، يكذبون بالبعث بعد الموت ، فوجدت من خيرنا منزلة قوما خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : قال رجل من بني تميم لأبي : يا أبا أسامة ، صفة لا أجدها فينا ، ذكر الله قوما فقال : (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ، ونحن والله قليلا من الليل ما نقوم . فقال له أبي : طوبى لمن رقد إذا نعس ، واتقى الله إذا استيقظ . وقال عبد الله بن سلام : لما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة ، انجفل الناس إليه ، فكنت فيمن انجفل . فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب ، فكان أول ما سمعته يقول : " يا أيها الناس ، أطمعوا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وأفشوا السلام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام " . وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني حبي بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو ؛ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : "

إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها " . فقال أبو موسى الأشعري

: لمن هي يا رسول الله ؟ قال : " لمن ألان الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات الله قائما

والناس نيام " . وقال معمر في قوله : (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) : كان الزهري

والحسن يقولان : كانوا كثيرا من الليل ما يصلون . وقال ابن عباس ، وإبراهيم النخعي : (

كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) : ما ينامون . وقال الضحاك : (إنهم كانوا قبل ذلك

محسنين كانوا قليلا) ثم ابتداء فقال : (من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون) .